ولمفهوم السلام وتطوره من يالطا الى سان فرنسيسكو .

بعد هذا كله نصل الى الجزء الخامس وهو بيت القصيد وفيه يقدم لنا المؤلف مشروعا للتعاون الدولي من اجل سلام عالمي وهو مشروع يقوم على مبادىء المساواة والاخاء والحرية وهي كما نرى مبادىء مستوحاة من شعارات الثورة الفرنسية . كما أنه ينادي بالغاء معظم المؤسسات السياسية الحالية لتقوم مكانها منظمات على مستوى عالمي تتميز بالاختصاص والانسجام والعمل نحو الافضل . وهذا أيضا ينطبق على الاحزاب السياسية التي يجب ان تحل محلها منظمات متخصصة حسب ظروف كل أمة أو تجمع بشري . وهذه المنظمات هي : صناعية — انتاجية ، مالية ، مصرفية ، منظمات عمل ، زراعية ، دفاع وطني ، اصلاحات عامة. وبعد ذلك يوضح المؤلف بايجاز الصيغة العملية لتطبيق هذا المشروع . وفي الجزء السادس يشدد الكتاب على ان العمل العاجل والضروري والملح هو قبل كل شيء ابعاد خطر الحرب وجعل السلام شيئا طبيعيا وشرعيا في العالم وذلك ضمن مؤسسات وقوانين وأنظمة . وهذا العمل ، كما يشير عنوان الكتاب ، يقع بالدرجة الاولى على عاتق الغرب . وينتهي الكتاب بنداء ملح من المؤلف يشير فيه الى أن : « على العالم أما أن يختار الاستمرار في الوضع الحالي واما التطلع الى مستقبل أفضل من شروطه الاساسية ان يكون قائما على الحرية الوطنية والتخلي عن روح الحرب . ومن أجل هذا يجب القيام بمجهودات هائلة وبتضحيات جلى من أجل جعل السلام حالة طبيعية » . ثم يقول : « لقد كرست هذا الكتاب للاجيال المقبلة التي ستقدر مشاريعي من اجل السلام وكذلك ايضا لجيلنا الحالي الذي يمكن ان يستفيد منها ليحمي نفسه من خطر الحرب . انني اقدم هذا الكتاب الى المفكرين والمثقفين الذين يدركون مثلي أن الفكر السليم هو اقوى من السلاح » .

ان هذا العرض السريع لاهم محتويات الكتاب قد أظهر ولا شك أنه عبارة عن دراسة اكاديمية قانونية تريد أن تكون فوق الايديولوجيات وفوق الصراعات السياسية ولكنها في الحقيقة تعبر عن ايديولوجية مثالية تدعي العلمية والموضوعية وهي في حقيقتها ايديولوجية بعض الاوساط الحقوقية المتأثرة بالولايات المتحدة الاميركية والمؤمنة بأنها كانت في يوم من الايام دولة مسالمة متنزهة عن كل مصلحة مادية وتريد اقامة مجتمع عالمي قائم على اساس العدالة والحق والمساواة . والملاحظة التي يمكن ان توجه الى هذا النوع من الدراسات هي أنه ليس المهم اعطاء مشاريع عقلانية مثالية من اجل احلال السلام بقدر ما ينبغي الالتصاق بالواقع — الذي هو في الحقيقة العقلانية الوحيدة المقبولة — ودراسة ما اذا كانت هذه المشاريع قابلة للتحقيق . ان مشاريع السلام كثيرة وادراج الحكومات والمنظمات العالمية تكاد تمتلىء بها ، الا أنها لا يمكن أن تترجم الى واقع محسوس الا اذا تحول ميزان القوى في العالم الى صالح قوى التحرر . ان الافكار لا يمكن ان تقود العالم وتسيره مهما كانت هذه الافكار سديدة وصائبة ومعقولة . وحده الصراع والتناقض يقود العالم. ان مشروع السيد رأفت شنبور من اجل احلال سلام عادل يعبر ولا شك عن انسانية معذبة في داخله تتوق الى السلام والى عالم أفضل . الا ان طريق العالم الافضل — عالم السلام — لا تحدده وتخلقه الافكار المثالية بل تطور الصراع لصالح قوى التقدم والتحرر . ذلك ان قوى الاستغلال لا يمكن ان تتخلى سلميا عن مصالحها وعن استغلالها لمجرد خدمة الانسانية المعذبة . ان ما يهمها هو « انسانيتها » هي لا الانسانية كما يفهمها ويريدها السيد شنبور . ولعل سوء الفهم أو الخطأ الكبير في هذا الكتاب يكمن هنا اذ في حين ان المؤلف يؤمن بالانسانية وبمبادىء الحق والعدالة والاخاء فاننا نجد ان الواقع هو عكس ذلك تماما . فهذه المبادىء والشعارات لا تمت الى العالم السياسي الواقعي بصلة بل هي مجرد عموميات فلسفية ولاهوتية تعبر عن مواقف مثالية مسبقة .

ان كتاب السيد شنبور يجوز ان يسمى كتاب قانون دولي او فلسفة سياسية او فكر سياسي ولكنه على كل حال ، وبكل تأكيد ، ليس كتابا سياسيا .

ماجد نعمة